

الفتور

المظاهر، الأسباب، العلاج

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليما كثيرا.

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (1) [سورة آل عمران،

الآية: 102].

﴿ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً

وَآتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (2) [سورة النساء، الآية: 1].

﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (3) [سورة الأعراف، الآية: 157].

﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (3) [سورة الأحزاب، الآيتان: 70، 71].

أما بعد:

فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: ﴿ إن لكل عمل شرة، والشرية إلى فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد

اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد ضل ﴾ (4).

1 - سورة آل عمران آية: 102.

2 - سورة النساء آية: 1.

3 - سورة الأحزاب آية: 70-71.

4 - أخرجه أحمد في المسند (158/2، 165، 188، 210) وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (2152).

وروى أبو هريرة رضي عنه عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه قال: ☞ لكل شيء شرة، ولكل شرة فترة، فإن صاحبها سدّد وقارب فارجوه، وإن أشير إليه بالأصابع فلا تعدوه ☞ (1).

وقد ورد مثل ذلك بروايات وطرق مختلفة، كلها تدل على أن الفتور مما يصاب به السائرون إلى الله من العباد، وطلاب العلم، والدعاة، وغيرهم.

وقد استعاذ الرسول صلّى الله عليه وآله من الفتور في عدة أحاديث ورد فيها استعاذته من العجز والكسل، كما في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يتعوذ ويقول: ☞ اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهزم، والمأثم والمغرم ☞ (2).

وقد ذكر أنس رضي عنه أنه سمع رسول الله صلّى الله عليه وآله كثيرا يقول:

☞ اللهم إني أعوذ بك من الهرم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وغلبة الدين، وقهر الرجال ☞ (3).

ولأهمية هذا الموضوع - كما سيأتي بيانه - ولحاجة طلاب العلم والدعاة والمربين إليه، ولضرورة المحافظة على هذه اليقظة المباركة، وتجنّبها المزالق والمنعطفات، ومن أخطرها داء الفتور، فقد شغل بالي هذا الموضوع منذ عدة سنوات، فطفقت أجمع شتاته، وأقرأ ما كتب فيه، وأتأمل في حقيقته ومآله، من حيث المظاهر والأسباب وسبل الوقاية، وكنت أكتب وأدونّ ما وقع تحت يدي مما يدخل في هذا الموضوع، ثم أعرضه على إخواني من المشايخ وطلاب العلم، وأستمع إلى ملحوظاتهم، وأدونّ إضافاتهم، واستمر هذا الأمر بضع سنوات حتى شعرت أنه قد تجمع لدي ما أمل به النفع، فأعددت ترتيبه وتصنيفه، ثم ألقيته في دروس عامة على فترات مختلفة.

وقد طلبت من طلابي المساهمة في إثراء هذا الموضوع فتجاوبوا معي، وجاءتني عشرات الرسائل، فأفدت منها فائدة عظيمة (4) وأخيرا اقترح علي بعض الأحبة أن أخرج هذا الموضوع مكتوبا، بعد أن

1 - أخرجه الترمذي (548/4) كتاب القيامة رقم (2453) قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم (2151).

2 - أخرجه البخاري (159/7) كتاب الدعوات، باب [39] ومسلم (2079/4) كتاب الذكر رقم (589).

3 - أخرجه البخاري (224/3) كتاب الجهاد، باب [74].

4 - من أهمها بحث أعدّه الأخ فهد الحربي في الموضوع أفدت منه كثيرا، مع أنه لم يصلني إلا بعد إلقاء الموضوع وكتابته، فجزاه الله خيرا.

خرج مسموعاً، فاستعنت بالله، وشرعت في تحقيق هذه الرغبة، وها هو -أخي الكريم- بين يديك، ولذلك فإني أنبه إلى ما يلي:

1- أن هذا الموضوع موضوع علمي تربوي، يلامس الواقع ويعالجه.

2- أنني لم أكتب هذا الموضوع لمن أصيب بداء الفتور، بل كتبتة لطلاب العلم والدعاة والمربين وشباب هذه اليقظة المباركة، وأخيراً هو للفتارين.

ذلك أنني أرى أن من لوازم التربية أن يكون المرءون والمتربون على معرفة وبينة بهذا الداء؛ حتى يقوا أنفسهم من غوائله؛ ذلك أن الوقاية أسهل من التخلص منه بعد وقوعه.

3- لقد بذلت ما استطعت؛ من أجل أن يخرج هذا الموضوع بالصورة التي تفي بالغرض، ولذلك مكثت عدة سنوات في إعدادة وجمع أطرافه، وساهم معي عدد كبير من المشايخ وطلاب العلم والدعاة -وهم بالعشرات- وقرأت ما كتب في الموضوع مما وقع تحت يدي⁽¹⁾ ومع ذلك فالموضوع متجدد، وقابل للزيادة والإضافة والملاحظة؛ والنقص من طبيعة البشر، فجزى الله خيراً من ساعدني، وبارك الله فيمن سيساعدني في معلومة أو ملحوظة؛ للتعديل أو الإضافة في طبعة قادمة بإذن الله، وغفر الله لمن تجاوز عن الزلات والهتات، والتمس لي العذر في النقص والتقصير.

إن تجد عيباً فسدّ الخلالاً جل من لا عيب فيه وعلا

4- لم أراع -عند ذكر المظاهر والأسباب والعلاج- الترتيب حسب الأهمية، بل قصدت أن تخرج هكذا في تداخل بين الأهم والمهم؛ لأسباب فنية وتربوية.

5- قد يلحظ أن هناك بعض التكرار والتداخل بين المظاهر والأسباب، وكذلك بين الأسباب وسبيل العلاج، وهذا أمر له أسبابه العلمية والدعوية؛ فإن التكرار ليس مذموماً لذاته، فبعض القضايا كررت في القرآن عدة مرات لأسباب معتبرة.

1 - مما اطلعت عليه وأدبت منه: "ظاهرة ضعف الإيمان" للمنجد، و "الفتور" لجاسم مهليل، و "آفات على الطريق" لمحمد نوح، و "الفتور في حياة الدعاة".

وأخيراً:

فإنني أشكر الله - جل وعلا- وأثني عليه الخير كله، حيث وفق وأعان على إتمام هذا العمل، وأسأله أن ينفع به، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله عوناً لي في الدنيا، وذخراً في الآخرة ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ⁽¹⁾ [سورة الشعراء، الآيتان: 88، 89].

وأسأله أن يغفر لي خطيئتي وزللي، وكل ذلك عندي.

وأكرر شكري لكل من ساهم في هذا الموضوع، ومن خرّج أحاديثه حتى خرج مطبوعاً. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتب:

ناصر بن سليمان العمر

الرياض، يوم الخميس 27 / 5 / 1414 هـ

أهمية الموضوع

تنبثق أهمية الكتابة في موضوع الفتور من خلال ما يلي:

1- أن الله ذم المنافقين؛ لتثاقلهم عن الصلاة، وكسلهم فيها، ولا يخرجون الزكاة إلا وهم كارهون، وهذه أسوأ أنواع الفتور وأقسامه، قال سبحانه:

﴿ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ﴾ ⁽²⁾ [سورة التوبة، الآية:

54] وقال: ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ⁽³⁾

1 - سورة الشعراء آية: 88-89.

2 - سورة التوبة آية: 54.

3 - سورة النساء آية: 142.

[سورة النساء، الآية: 142] وقال: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ⁽¹⁾ [سورة التوبة، الآية: 81].

وعاتب المؤمنين فقال: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ ⁽²⁾ [سورة التوبة، الآية: 38] والتثاقل هو الفتور بعينه.

2- أن الله دعا إلى نبد الفتور والكسل؛ وذلك بالمسارعة إلى الخيرات والمسابقة إليها، وأثنى على المؤمنين الذين يسارعون في الخيرات، قال سبحانه: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ⁽³⁾ [سورة آل عمران، الآية: 133] وقال: ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ ⁽⁴⁾ [سورة الحديد، الآية: 21] وقال: ﴿ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ ⁽⁵⁾ [سورة المؤمنون، الآية: 61].

وأثنى على الأنبياء فقال: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ^ط وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾ ⁽⁶⁾ [سورة الأنبياء، الآية: 90].

وقال في سورة الواقعة مبينا أجر السابقين إلى الخيرات والإيمان: ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ ⁽⁷⁾ [سورة الواقعة، الآية: 10].

فالمسابقة والمسارعة من لوازمهما وآثارهما نبد الفتور والكسل والتراخي.

1 - سورة التوبة آية: 81.

2 - سورة التوبة آية: 38.

3 - سورة آل عمران آية: 133.

4 - سورة الحديد آية: 21.

5 - سورة المؤمنون آية: 61.

6 - سورة الأنبياء آية: 90.

7 - سورة الواقعة آية: 10.

3- استعاذة الرسول ﷺ منه، كما ورد في عدة أحاديث صحيحة، منها ما رواه البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ ويقول: ﴿اللهم إني أعوذ بك من الكسل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من الهرم، وأعوذ بك من البخل﴾ (1).

وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله ﷺ كان يدعو بهؤلاء الدعوات: ﴿اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم، والمأثم والمغرم﴾ (2).

وكان ﷺ يستعيد من الكسل إذا أصبح وإذا أمسى، كما في حديث ابن مسعود عند مسلم (3). وذكر أنس رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ كثيراً يقول: ﴿اللهم إني أعوذ بك من الهرم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين، وقهر الرجال﴾ (4).

وعند مسلم، عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول: ﴿اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل﴾ الحديث (5).

4-خطورة الفتور: حيث يؤدي بكثير من الناس إلى الانحراف، حيث إن الفتور مرحلة وسطية بين الالتزام وبين الانحراف. ولا أدل على خطورته من كثرة استعاذة رسول الله ﷺ منه في الصباح والمساء، وتعليمه لأصحابه أن يتعوذوا بالله منه، كما سبق.

5- أن الكسل والفتور لا يختص بطائفة معينة من الناس، بل إنه يسري في الناس على مختلف طبقاتهم وأعمارهم وأحوالهم، لا يكاد ينجو منه أحد إلا من سلم الله - وقليل ما هم - فهو يصيب العلماء والعباد والجهال، والشيوخ والشباب، والرجال والنساء، والأغنياء والفقراء، والأصحاء والمرضى، والمتقين والفساق، ولكن تختلف الإصابة قوة وضعفاً؛ لأسباب وعوامل يأتي ذكرها.

1 - أخرجه البخاري (160/7) كتاب الدعوات باب [42] واللفظ له ومسلم (2079/4) كتاب الذكر، رقم (2706).

2 - أخرجه البخاري (159/7) كتاب الدعوات، باب [39] ومسلم (2079/4) كتاب الذكر رقم (589).

3 - صحيح مسلم (2089/4) كتاب الذكر، رقم (2723 [75]).

4 - أخرجه البخاري (224/3) كتاب الجهاد، باب [24].

5 - أخرجه مسلم (2088/4) كتاب الذكر رقم (2722).

6- أن طلاب العلم والدعاة والمربين بأمس الحاجة إلى رسالة تبين هذا الموضوع، وتكشف عن جوانبه من حيث المظاهر والأسباب وطرق الوقاية؛ لتكون معينة لهم في تربية طلابهم،⁽¹⁾ وتجنبيهم هذه المزالق، مع تخلص من وقع منهم في هذا البلاء، وهي كذلك رسالة لجميع الناس، على اختلاف أحوالهم وأوضاعهم.

وحيث إنني لم أجد رسالة تفي بالغرض، وتسد النقص، وتتصف بالشمول، وإنما هي رسائل تناولت بعض جوانبه، مع اختصار شديد، وهي رسائل نافعة ولها فضل السبق، وأفدت منها في هذه الرسالة، ولكن - كما قلت - لم تكن على مستوى حجم القضية وضخامتها، ولم تُجِبْ على كثير من الأسئلة التي تلح على العاملين في حقل الدعوة والتربية، فجزى الله هؤلاء خير الجزاء.

ومع ذلك فلا أدعي أن هذه الرسالة ستعني عن غيرها - سواء مما سبق أو مما قد يأتي - وإنما هو جهد المقل، ومحاولة المجتهد، والكمال لله.

1 - وبخاصة أن البعض قد بدأ الفتور يدب في أوصاله.